

الضمائر المنعكسة في اللغة العربية

دكتور محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

كلية الآداب - جامعة بيروت العربية



دار العلوم العربية

بيروت - لبنان



الضمائر المنعكسة في اللغة العربية

دكتور محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

كلية الآداب - جامعة بيروت العربية





الطبعة الأولى
١٤١٠هـ ١٩٩٠م

الناشر
دار العلوم العربية
للطباعة والنشر
مقابل جامعة بيروت العربية
بناية عناني
هاتف: ٣٠٧١٧٣
ص.ب: ٩٥٣٥-١١
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يزال الدرس النحوي العربي القديم في حاجة إلى قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الدرس الحديث ، ومناهجه ، وطرائقه في رصد الظواهر اللغوية ، ومعالجتها على نحو مضبوط ، ويمكن الكشف بها عن ظواهر لم يعرض لها النحاة القدماء ومن صدر عن منهجهم من المحدثين ، أو عرضوا لها ولكن لم يوفوها حقها من البحث الكاشف لها والمحيط بها . وليس من شك في أن أجيالاً من الباحثين ـ وبخاصة من اتصل منهم بعلم اللغة الحديث دراسة وفهماً ـ حاولوا ، ويحاولون الآن الإفادة من جهود علماء اللغة المحدثين في أوربا وأمريكا في تجديد نظرتهم لتراثنا النحوي كله ، والكشف عن كنوزه المخبوءة ، وإثرائه ، والإضافة إليه، وإبراز عناصر القوة فيه، وإصلاح ما قد يكون فيه من جوانب النقص والقصور .

والنحاة العرب لم يعرفوا مصطلح « الضمائر

المنعكسة » reflexive pronouns وإن عرفوا بعض ما يدخل فيه ، ويندرج تحته ، وعرفه نحاة بعض اللغات الأخرى ، واستخدموا لما يدل عليه مصطلحاً بديلاً هو « الأفعال المنعكسة »[1] reflexive verben وهم يرون أن الضمير يكون منعكساً إذا كان مفعولاً للفعل ، متحداً coreferential مع الفاعل أو عائداً إليه[2] ، والأفعال المنعكسة عندئذ هي الأفعال التي يكون معها الفاعل والمفعول به متطابقين أو عائدين إلى شخص واحد[3] .

وقد عرف نحاة العربية هذه الظاهرة من خلال درسهم لما أسموه « أفعال القلوب » وهي عند بعضهم سبعة أفعال : ظن ، وحسب ، وخال ، وزعم ، وعلم (إذا لم تكن بمعنى عرف) ، ورأى (إذا لم ترد رؤية

---

(١) Gerbe, P.: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache Duden 4 (Mannheim 1973) S. 75.

(٢) Perlmutter, D. & Soames, S. : Syntactic Argumentation and the Structure of English (U.S.A 1979) p.9.

(٣) Helbig, G. & Buscha, J. : Deutsche Grammatik (Leipzig 1980) S.65.

العين) ووجد (إذا لم ترد وجدان الضالة)[1] .
وأضاف إليها بعضهم « عدم » ، و« فقد) إذا كانتا للدعاء ، « وهَبْ » (بمعنى احسب)[2] وذكروا أن من خصائصها « أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول : علمتُني منطلقاً ووجدتَكَ فعلتَ كذا ، ورآه عظيماً ، وقد أجرت العرب عدمت وفقدت مجراها ، فقالوا « عدمتُنِي وفقدتُنِي »[3] . ولما كان هذا من خصائص « أفعال القلوب » فقد نصوا على أن ذلك لا يجوز في غيرها ، بل يتوصل إلى التعبير عن هذا المعنى في غير أفعال القلوب بطريقة أخرى سنعرض لها .

ونود قبل الخوض في وصف هذه الظاهرة تركيبياً ودلالياً أن نعرض لما جاء عنها في كتب النحو العربي ، لنقف على ما وصلوا إليه فيها ، ونعرف أي

---

(١) سيبويه : الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٧) ٢ /٣٦٧ ، الزمخشري : المفصل في علم العربية (بيروت د . ت) ص ٢٥٩ .

(٢) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ ، الرضى : شرح الكافية لابن الحاجب (القاهرة ١٣١٠هـ) ٢ / ٢٨٥ .

(٣) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ .

مدى بلغوه في الكشف عنها والإحاطة بها :

جاء في كتاب سيبويه : « هذا باب لا تجوز فيه علامة المضمر المخاطب ، ولا علامة المضمر المتكلم ، ولا علامة المضمر المحدث عنه الغائب ، وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول للمخاطب : اضربْكَ ، ولا اقتُلْكَ ، ولا ضربْتَكَ ، لما كان المخاطب فاعلاً وجعلت مفعوله نفسه قبح ذلك ، لأنهم استغنوا بقولهم اقتُل نفسَك وأهلكتَ نفسَك ، عن الكاف ها هنا وعن إياك .

وكذلك المتكلم ، لا يجوز له أن يقول أهلكتُنِي ولا أُهْلِكُنى لأنه جعل نفسه مفعوله فقبح ، وذلك لأنهم استغنوا بقولهم أنفع نفسي عن « ني » ، وعن « إياي » .

وكذلك الغائب لا يجوز لك أن تقول ضربه إذا كان فاعلاً وكان مفعوله نفسه ، لأنهم استغنوا عن الهاء وعن إيا بقولهم ظلم نفسه وأهلك نفسه ، ولكنه قد يجوز ما قبح ها هنا في حسبت وظننت وخلت، وأرى وزعمت ، ورأيت إذا لم تعن رؤية العين ، ووجدت إذا لم ترد وجدان الضالة ، وجميع حروف الشك ،

وذلـك قولـك حسبتُني وأراني ووجدتُنِي فعلت كـذا وكذا ، ورأيتُنِي لا يستقيم لي هذا . وكذلك ما أشبه هـذه الأفعـال ، تكـون حـال عـلامـات المضمـرين المنصوبين فيها إذا جعلت فاعليهم أنفسهم كحالها إذا كان الفاعل غير المنصوب .

ومما يثبت علامة المضمرين المنصوبين ها هنا أنه لا يحسن إدخال النفس ها هنا . لو قلت يظن نفسه فـاعلة وأظن نفسي فـاعلة على حـد يـظنـه وأظنني ليجـزىء هذا من ذا لم يجـزىء كمـا أجـزأ أهلكت نفسَكَ عن أهلكتَكَ ، فاستغنى به عنه . . . وإذا أردت برأيت رؤية العين لم يجز رأيتُنِي ، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت »[1] .

وجاء فيه أيضاً : « ولا يجوز أن تقول ضربتُنِي ، ولا ضربتُ إياي ، لا يجوز واحد منهما لأنهم استغنوا عن ذلك بضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ »[2] .

هذان النصان النفيسان من كتاب سيبويه تـردد صداهما من بعد في كتب النحاة الخالفين ، وأضاف

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢ /٣٦٦ ـ ٣٦٨ .

(٢) السابق ٢ /٣٦٦ .

بعضهم إلى ما جاء فيهما تفصيلات من الأهمية بمكان ، سنعرض لها إن شاء الله .

ويمكننا أن نلحظ في كلام سيبويه ما يأتي :

١ - فهم سيبويه ظاهرة « الانعكاس » كما فهمها نحاة الغرب ، دون أن يضع لها مصطلحاً خاصاً كما فعلوا ، بل جعلها جزءاً من تعديه الفعل إلى المفعول ، فالرجل يدرك ما حددوا به معنى « الانعكاس » ، وهو أن يوقع الفاعل الفعل بنفسه ، فيكون الفاعل مفعولاً به ، وعبارته صريحة في ذلك : « . . . لما كان المخاطب فاعلاً ، وجعلت نفسه مفعوله . . . » ، « . . . لا يجوز له أن يقول أهلكتُنِي ولا أُهلِكنُى لأنه جعل نفسه مفعوله . . . » .

٢ - حدد سيبويه الضمائر التي تحمل هذا المعنى بضمائر النصب والجر المتصلة وهي ياء المتكلم وكاف المخاطب ، وهاء الغائب ، ثم « إيا » مقدمة مضافاً إليها ضمائر التكلم والخطاب والغيبة ، واستبعد بذلك أن تحمل ضمائر الرفع هذا المعنى ، ومثل هذا نجده عند نحاة

الألمانية ، إذ ينصون على أن الضمائر المنعكسة لا تستخدم إلا في حالتي النصب والجر ، ولا يمكن أن تستخدم في حالة الرفع[1] .

٣ ـ ذكر سيبويه أن هذه الضمائر ترد مباشرة مع بعض الأفعال ، وقد ترد مسبوقة بكلمة « نفس » أو «إيا » . وواضح أن سيبويه يسوى بين قولك :

ضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ ، ومع أنه يمنع : ضربتُ إياي ، فقد أورد في موضعين من كتابه شاهدا يدل على استخدامه ، هو قول ذي الإصبع العدواني :

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إِ نَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا[2]

أي : نقتل أنفسنا ، وقد حمل سيبويه هذا الشاهد على الضرورة .

---

(١) Grebe, P. Grammatik der deutschen Gegenwartssprache Duden 4 S. 276.

(٢) سيبويه : الكتاب ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، والرضى : شرح الكافية ٢ /١٤ .

٤ ـ ما ذكره سيبويه يدل على أن الأفعال مع الضمائر المنعكسة تتصرف تصرفها مع غيرها فترد ماضية ، ومضارعة ، وأفعال أمر ، وقريب من ذلك موجود في غير العربية أيضاً كاللغة الألمانية ، فإن الأفعال المنعكسة فيها تستخدم من حيث الزمن Tempus ودلالة الصيغة Mudus استخدام الأفعال غير المنعكسة[١] .

٥ ـ عرض سيبويه لتوزيع[٢] هذه الضمائر محدداً استخدامها الصحيح والمواضع التي تخرج فيها على الصحة النحوية ، ويمكننا أن نوضح ذلك على النحو الآتي :

(١) أ ـ *(أنا) ضربتُنِي

ب ـ *(أنت) ضربتَكَ

جـ ـ *(هو)ضربَهُ

---

(١) Helbig & Buscha: Deutsche Grammatik S. 176.

(٢) انظر في توزيع الضمائر المنعكسة وغير المنعكسة في اللغة الإنجليزية :

Perlmutter & Soames: Syntactic Argumentation p. 8

(٢) أ ـ (أنا) ضربتُ نفسي (إياي ضربتُ) .
ب ـ (أنت) ضربتَ نفسك (إياك ضربتَ) .
جـ ـ (هو) ضربَ نفسه (إياه ضَرَبَ) .

(٣) أ ـ *(أنا) ظننتُ نفسي مجتهدا
ب ـ *(أنت) ظننتَ نفسَك مجتهدا
جـ ـ *(هو) ظنّ نفسَه مجتهدا

(٤) أ ـ (أنا) ظننتُنِي مجتهدا .
ب ـ (أنت) ظننتَكَ مجتهدا .
جـ ـ (هو) ظنَّهُ مجتهدا .

بمقارنة هذه المجموعات يتضح أن الضمائر المتصلة التي تتحد مع الفاعل أو تعود إليه نوعان : ضمائر مسبوقة بكلمة نفس ، وضمائر غير مسبوقة بها ، وحيث تجوز هذه لا تجوز تلك ، وهي في الحالة الثانية مفعول مباشر للفعل ، وفي الحالة الأولى انتقل حكم الضمير إلى كلمة نفس ، فوقعت مفعولاً به ، وأضيف الضمير إليها . والأفعال التي يرد معها ضمير المفعول عائداً على ضمير الفاعل غير مسبوق بكلمة « نفس » أفعال محدودة ، تكون مجموعة

« مغلقة » من الأفعال حددها النحاة بعشرة أفعال ، أما الأفعال التي يرد ضمير المفعول معها عائداً على ضمير الفـاعـل مسبـوقـاً بكلمـــة « نفس » فهي مجمـوعـــة « مفتوحة » تشمل سائر الأفعال .

وإذا جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (١) بنية باطنة عميقة deep structure « تحـولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٢) إلى بنية سطحية ظاهرة surface structure جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (٣) بنية باطنة « تحولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٤) إلى بنية سطحية ظاهرة، وإذا جاز أن يكون الضمير المنعكس مسبوقاً بـ « نفس » أو « إيّا » في رقم (٢) ، فإنه لا يجوز أن يكون كذلك في رقم (٤) . ويجوز لنا بعد ذلك أن نضع قاعدتين إجبـاريتين « تتـولـد » بهمـا الضمـائـر المنعكســة ، وتشمـلان المادة اللغـوية السـابقة الـواردة في كتاب سيبويه :

القاعدة الأولى :

إذا كان الضمير مفعـولاً أول لفعـل من أفعـال القلوب عائداً على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة نفس أو إيّا كان ضميراً منعكساً .

وعلى أساس من هاتين القاعدتين يمكن استبعاد أن تكون الضمائر في الأمثلة الآتية ضمائر منعكسة :

(٥) أ ـ (أنا) ضربتُك .
ب ـ (أنا) ضربتُه .

(٦) أ ـ (أنت) ضربتَنى .
ب ـ (أنت) ضربتَه .

(٧) أ ـ (هو) ضربنى .
ب ـ (هو) ضربك .

(٨) أ ـ (أنا) ظننتُك . . .
ب ـ (أنا) ظننتُه . . .

(٩) أ ـ (أنت) ظننتَنى . .
ب ـ (أنت) ظننتَه . . .

(١٠) أ ـ (هو) ظنَّنى . . .
ب ـ (هو) ظنَّك . . .

كـذلك لا يمكن أن « تتـولد » بهمـا التراكيب السطحية الآتية :

(١١) أ ـ *(أنا) ضربتُ نفسَك .

ب ـ *(أنا) ضربتُ نفسَه .

(١٢) أ ـ *(أنت) ضربتَ نفسي .

ب ـ *(أنت) ضربتَ نفسه .

(١٣) أ ـ *(هو) ضرب نفسي .

ب ـ *(هو) ضرب نفسك .

(١٤) أ ـ *(أنا) ضربتُني .

ب ـ *(أنت) ضربتَك .

جـ ـ *(هو) ضربَه .

(١٥) أ ـ *(أنا) ظننتُ نفسي . . .

ب ـ *(أنا) ظننتُ نفسَك . . .

جـ ـ *(أنا) ظننتُ نفسَه . . .

(١٦) أ ـ *(أنت) ظننتَ نفسَك . . .

ب ـ *(أنت) ظننتَ نفسي . . .

جـ ـ *(أنت) ظننتَ نفسَه . . .

(١٧) أ ـ *(هو) ظن نفسه . . .

ب ـ *(هو) ظن نفسي ...

جـ ـ *(هو) ظن نفسك ...

ولا يمكن بهما أيضاً إنتاج جمل « نحوية » في البنية السطحية مثل :

(١٨) أ ـ *نفسي ضربتني .

ب ـ * نفسُك ضربتك .

جـ ـ * نفسُه ضربته .

ولنشر الآن إلى ملحظ نراه ضرورياً في المادة اللغوية السابقة ، فقد حكمنا على (١٤جـ) : هو ضربه بأنها غير صحيحة نحوياً ، بناء على القاعدة الثانية على أساس أن الضارب هو المضروب كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية :

هـو ضربـه

م م

لكن هذه الجملة تحتمل أن يكون الضارب فيها غير المضروب ، فلا يعود فيها ضمير المفعول على ضمير الفاعل ، كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية :

هــو ضربــه
أ ب

ولذلك لا بـد من العودة إلى البنيـة الباطنـة التي تحتوي على الخبر المراد ، فإذا كان الضارب فيها هو المضروب انطبقت عليها القاعدة الثانية فولدت منها الجملة الصحيحة نحوياً وهي : هو ضـرب نفسه ، وإن كان الضارب فيها غير المضـروب تولـدت هذه البنية : هو ضربه الصحيحة نحوياً ، وبهذا نعلم أن من التراكيب السطحيـة الظاهـرة ما لا يمكن الحكم عليه بالصحة النحوية أو انتفائها عنه إلا بعد العودة إلى البنية الباطنـة العميقة . وهـذا الأمر غيـر متحقق في المادة اللغوية السابقة إلا في ضمير الغائب .

ولعل من اللازم الآن أن نختبر انطباق القاعدتين اللتين وضعناهما بنـاء على ما ورد من أمثلة في كتـاب سيبويه على مادة لغوية مستعملة في أوثق نص عربي وأجدره بالاعتماد عليه ، وهو القرآن الكريم . والأمر في القاعدة الأولى هين ميسور ، إذ الضمائر المنعكسة « تولد » بها مع مجموعة « مغلقة » من الأفعال محددة كما ذكرنا بعشرة أفعال ، فإذا ذهبنا نلتمس لها دليلاً

من القرآن الكريم وجدنا أنه لم يرد من أفعال القلوب التي يعـود مفعولهـا الأول على فاعلهـا غير الفعـل المضارع « يرى » مسنداً إلى ضمير المتكلم ، وذلك في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إنّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تأْكُل الطَّيْرُ مِنْه

(يوسف ٢٦)

وغير الفعل « رأى » مـاضياً مسنـداً إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ كَـلاَّ إنَّ الإِنْـسَـانَ لَيَـطْغَـى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق ٧)

والقاعدة منطبقة عليهما ، فالضمير مفعول أول لفعل من أفعال القلوب عائد على الفاعل ، فهو إذن ضمير منعكس .

فـإذا تتبعنا استخـدام القـرآن الكـريم لأفعـال القلوب التي وردت فيه استخدامـاً انعكاسيـاً وهي : ظن ، وحسب ، ورأى ، وعلم ، تبين لنا أن القرآن

الكـريم يدخـل في عدد من المـواضـع « أنَّ » على الضمير المنعكس على الفاعل ، وأكثر ما يكون ذلك مع الغائب منعاً للبس الذي أشـرنا إليـه في المثال (١٤ جـ) ، وذلك في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَا نِعَتُهُم حُصُونُهم مِن الله ﴾
(الحشر ٢)

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم ﴾ (يونس ٢٢)

ـ ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم قَدْ كُذِبُوا ﴾ (يوسف ١١٠)

ـ ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقعُوها ﴾ (الكهف ٥٣)

ـ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو رَبِّهِم ﴾
(البقرة ٤٦)

ـ ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو الله . . . ﴾
(البقرة ٢٤٩)

ـ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُون ﴾
(الأعراف ٣٠)

ـ ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُون أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعا ﴾
(الكهف ١٠٤)

ـ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم عَلَى شَيْء ﴾
(المجادلة ١٨)

ـ ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُم قَد ضَلُّوا ﴾

(الأعراف ١٤٩)

وظاهر أن الضمير إذا اتصل بالضمير دون أن تفصل بينهما « أنَّ » فقيل : فظنوهم ، أو : يحسبونهم ، أو : رأوهم ، أدى ذلك إلى اللبس في البنية السطحية الظاهرة فالضمير عندئذ يحتمل العودة على الفاعل فيكون ضميراً منعكساً ، والعودة على غير الفاعل فيكون غير منعكس .

والقرآن الكريم يلجأ إلى ذلك أيضاً إذا كان الفاعل مفصولاً عن ضمير النصب المنعكِس عليه ، إذ لا يمكن عندئذ اتصال الضمير بالفاعل ، فوسطت « أنَّ » بينهما ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْها ﴾

(يونس ٢٤)

ـ ﴿ أَلَا يَظُنُّ أولئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُون ﴾

(المطففين ٤)

ـ ﴿ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُك ﴾

(الصافات ١٠٢)

وقد فصلت « إنَّ » المكسورة الهمزة بين الفاعل

الظاهر والضمير المنعكس عليه في موضـع واحد في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَت الْجِنَّةُ إِنَّهُم لَمُحْضَرُون ﴾ (الصافات ١٥٨)

وعلى أساس مما عرضناه من مادة لغوية ينبغي أن نعود إلى القاعدة الأولى التي وضعناها بناء على ما ورد في كلام سيبويه والنحاة من بعده ، فنجري عليها التعديل الآتي :

القاعدة الأولى :

إذا كـان مع أفعـال القلوب ضمير عـائد على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

وننتقل الآن لننظر فيما تنطبق عليه القاعدة الثانية من القرآن الكريم ، فقد ورد فيه قوله عز وجل :

ـ ﴿ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه ﴾ (البقرة ١٣٠)
ـ ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه ﴾ (البقرة ٢٣١)
ـ ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (النمل ٤٤)
ـ ﴿ ظَلَمْتُم أَنْفُسَكم ﴾ (البقرة ٥٤)

ـ ﴿ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيّ (الأحزاب ٥٠)
ـ ﴿ فَتَنتُم أَنْفُسَكُم ﴾ (الحديد ١٤)
ـ ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهم (الأعراف ٩)
ـ ﴿ وَمَا أُبرِّىءُ نَفْسِي ﴾ (يوسف ٥٣)
ـ ﴿ مَنْ يَشْرِى نَفْسَه ﴾ (البقرة ٢٠٧)
ـ ﴿ يَظْلِمْ نَفْسَه ﴾ (النساء ١١٠)
ـ ﴿ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ (المائدة ٢٥)
ـ ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ٤٤)
ـ ﴿ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ١٨٧)
ـ ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكم ﴾
(التوبة ٣٦)
ـ ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم ﴾ (النجم ٣٢)
ـ ﴿ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم ﴾ (النساء ٤٩)
ـ ﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُم ﴾ (النساء ١٠٧)
ـ ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم ﴾
(النساء ١١٣)
ـ ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم ﴾
(الأنعام ٢٦)
ـ ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُم يَنْصُرون ﴾
(الأعراف ١٩٢)

ـ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ (الكهف ٢٨)
ـ ﴿ وَلُومُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (إبراهيم ٢٢)

وواضح أن القاعدة الثانية تنطبق انطباقاً تاماً على العبارات القرآنية السابقة مع تعديل طفيف فيها على النحو الآتي :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) كان ضميراً منعكساً .

وواضح أيضاً أن الضمير في النصوص السابقة لم يرد مسبوقاً بـ (إيّا) ، لكن ورد في كلام سيبويه ما يجيز نحو (إياي ضربتُ) .

فوجب أن يضاف إلى القاعدة فتصبح :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيّا) كان ضميراً منعكساً .

على أنّا قد وجدنا في القرآن الكريم شاهدا بنى فيه الفعل للمجهول ، فلم ينعكس الضمير على الفاعل ، بل انعكس على نائب الفاعل ، وذلك في قوله تعالى :

ـ ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (النساء ٨٤)

من ثم وجب أن تعدل القاعدة مرة أخرى لتصبح :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل أو نائبه في غير أفعال القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيا) كان ضميراً منعكساً .

ولما كانت كلمة (نفس) أو جمعها ، وكلمة (إيا) ترد كل منهما ملازمة للضمير المنعكس لا تنفك عنه ، ولا ينفك عنها أو يذهب عن الضمير معنى الانعكاس ، وتصبح الجملة التي يرد فيها « غير نحوية » ، فإننا نبيح لأنفسنا أن نطلق على الضمير المسبوق بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو المسبوق بكلمة (إيا) مصطلح « ضميمة منعكسة » ليتيسر لنا الوصف التركيبي والدلالي لها .

أولاً : الوصف التركيبي :

أ ـ مع أفعال القلوب :

١ ـ الضمائر المنعكسة مع أفعال القلوب لا تكون إلا ضمائر تكلم أو خطاب أو غيبة في محل نصب وتنعكس على الفاعل ضميراً أو اسماً ظاهراً ، غير مفصولة عنه ، أو مفصولة عنه بـ (أنَّ) أو (إنَّ) . والنحاة يجعلون من خصائص هذه الأفعال أن ضمير الفاعل فيها يتعدى إلى ضمير المفعول ، ولا يلتفتون إلى فاعلها الظاهر ، ولا إلى توسط (أنَّ) أو (إنَّ) بين الفاعل والضمير المنعكس عليه ، لأن شأنها في ذلك شأن سائر الأفعال غير المنعكسة المتعدية إلى مفعولين ، يقول ابن السراج : « ويجوز في باب ظننت وحسبت أن يتعدى المضمر إلى المضمر »[1] . ويقول الزمخشري : « ومنها (أي من

---

(١) ابن السراج : الأصول في النحو . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي (بيروت ١٩٨٧)[٢] ٢ / ١٢١ .

خصائصها) أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول : علمتُني منطلقاً ، ووجدتَك فعلتَ كذا، ورآه عظيماً »[1] . وقال ابن يعيش في شرحه لعبارة الزمخشري : « وأما أفعال القلوب التي هي ظننت وأخواتها فإنه يجوز ذلك فيها ويحسن ، فيتعدى « ضمير » الفاعل فيها إلى « ضمير » المفعول الأول دون الثاني فتقول : ظننتُنِي غنياً ، وحسبتَكَ غنياً ، وذلك لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو في المفعول الثاني ، ألا ترى أنّ الظن والعلم إنما يتعلقان بالثاني ، لأن الشك وقع فيه ، والأول كان معروفاً عنده ، فصار ذكره كاللغو فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثاني ، لأن الأول كالمعدوم ، والتعدي في الحقيقة إلى الثاني ، وقوله : « رآه عظيماً » في المثال ، يريد : إذا كان المفعول الأول هو الفاعل المضمر في « رأى » فاعرفه »[2].

---

(١) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (المنيرية ، القاهرة د . ت) ٧/ ٨٨ .

ويقـول الرضى في شـرح الكافيـة : هذه الأفعـال المـذكـورة في متن الكـافيـة ، ولفـظة « هَبْ » بمعنى احسب، و«رأى» الحلمية يجوز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين متحـدى المعنى نحـو : علمتُنِي قائمـاً ، وقال تعـالى : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾[1] وقال السيوطي : لا يجـوز أن يكون الفـاعل والمفعـول ضميرين متصلين لشيء واحد في فعل من الأفعال إلا في ظننت وأخـواتها ، وفي فقـدت وعدمت . قـاله البهاء النحاس في تعليقه على المقرب »[2] .

٢ ـ جوز بعض النحاة ورود الفاعل مع هذه الأفعال اسماً ظاهراً نحو : ظنـه زيد قـائماً ، فـإذا كان الفاعل ضميراً مستتراً يعود على المفعول الظاهر لم يجز نحو : زيداً ظن منطلقاً[3] وقال الرضي : « والقيـاس جواز : ظن زيـدٌ زيداً قـائمـاً ، أي

---

(١) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

(٢) السيـوطي : الأشبـاه والنـظائـر في النحـو (بـيروت ١٩٨٤) ٢ /٥١ .

(٣) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ /٢٨٦ .

نفسه »[1] .

والأصوليون من النحاة على أنه إن وجب القياس لشيء حكماً ، وجاز أن يأتي السماع بضده فالرأي الأخذ بالقياس حتى يرد ما يبين ذلك[2] .

٣ ـ يمكن أن يحل اسم آخر محل الضمير المنعكس ، من ثم فالضمير المنعكس عنصر من العناصر المكملة للجملة ، على أن هذا العنصر مطلوب من الفعل على وجه اللزوم ، فلا يجوز حذفه . يقول ابن السراج : « . . . وإنما حقه أن يتعدى فعل المضمر إلى المضمر ، وتكون أيضاً قد جعلت المفعول الذي هو فضلة في الكلام لا بد منه وإلا بطل الكلام »[3] .

ولا يقتصر استعمال أفعال القلوب على الضمائر المنعكسة ، بل كما تستعمل هذه الأفعال منعكسة تستعمل غير منعكسة فنقول

---

(١) السابق، نفسه .

(٢) انظر : ابن جني : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار (القاهرة ١٩٥٢) ١ /١٢٥ .

(٣) ابن السراج : الأصول ٢ /١٢١ .

مثلاً : ظننت زيداً قائماً ، أو : ظننتُك قائمـاً ، أو : ظن زيدٌ عمراً قائماً .

٤ ـ لا يمكن أن ينعكس الضمير مع أفعـال القلوب على « نائب الفاعل » ، ولا أن تبنى هذه الأفعال للمجهول إذا اتصل بها ضمير منعكس ، مع انها أفعال متعدية إلى مفعولين ، ومن ثم نعدها حالة خاصة من حالات التعدى ، وتتفق هذه الأفعال من هذه الناحية مع الأفعال المنعكسة في اللغة الألمانية[١] .

٥ ـ يطابق الضمير المنعكس مع هذه الأفعال الفاعل في الشخص والنوع والعدد .

٦ ـ يجوز أن يتقدم الضمير المنعكس مع هذه الأفعال على الفاعل ، كما اتضح ذلك في المثال الذي أورده الرضي ، وهو : ظنه زيدٌ قائماً[٢] ، فقـد تقـدم الضمير المنعكس ، وفصـل الفاعـل بين المفعولين .

---

(١) Gerebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwarts-Sprache Duden 4. S. 75.

(٢) الرضى : شرح الكافية ٢ /٢٨٦ .

ب - مع غير أفعال القلوب :

١ - الضمائر المنعكسة مع هذه الأفعال ضمائر تكلم وخطاب وغيبة ، مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو بكلمة (إيّا) . ويرى رايت أن الضمير قد يرد مسبوقاً بكلمة نفس ، أو عين ، أو وجه ، (وفي العربية المتأخرة : روح ، ذات ، حال) مثل قتل نفسه ، عزّ به نفسك ، أهلكتُ روحي ، أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه »[١]. وقد رأينا أن نطلق على الضمير المنعكس المسبوق بكلمة نفس أو ما يشبهها مصطلح « ضميمة منعكسة »[٢] .

---

(١) Wright, W. A Grammar of the Arabic Language (Beirut 1974[3]) II P. 272.

(٢) يطلق نحاة الإنجليزية على . myself etc وأمثالها مصطلح « الضمير المنعكس » ، ويطلق عليه بعضهم « الضمير المركب » (compound pronoun) راجع :

Thomson & Martinet: A Practical English Grammar. Oxford 1980 P.41, Zandvoort: A Handbook of English Grammar. London 1975 P.144.

٢ ـ ترد الضميمة المنعكسة في القرآن الكريم في موقع المفعول به لفعل ماض ، أو مضارع ، أو أمر كما ظهر في الشواهد القرآنية التي ذكرناها .
وقد ترد مفعولاً ثانياً لفعل متعد إلى مفعولين من غير أفعال القلوب ، وفي هذه الحالة يفصل الفاعل بين المفعولين كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَيُحَذِّرُكُم اللَّهُ نَفْسَه ﴾ (آل عمران ٢٨)

وترد مفعولاً به للمصدر كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أَنْفُسَكم ﴾
(الروم ٢٨)

وقوله عز وعلا :

ـ ﴿ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُم ﴾
(غافر ١٠)

وترد مفعولاً به لاسم الفاعل كما في قوله جل وعز :

ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم ﴾
(الكهف ٦)

وترد مفعولاً به لاسم الفعل كما في قوله سبحانه :

ـ ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُم ﴾ (المائدة ١٠٥)

وتـرد الضميمة المنعكسـة في موقـع المجرور بحرف جر أصلي كما نجد ذلك في الشواهد القرآنية الآتية :

ـ ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِه ﴾ (آل عمران ٩٣)

ـ ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَة ﴾ (الأنعام ١٢)

ـ ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِه ﴾ (يوسف ٧٧)

ـ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طه ٦٧)

ـ ﴿ واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (طه ٤١)

ـ ﴿ أَوْ أَكْنَنتُم فِي أَنفُسِكم ﴾ (البقرة ٢٣٥)

ـ ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكم ﴾ (التوبة ٣٥)

ـ ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُم ﴾ (الاسراء ٧)

ـ ﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ﴾ (الأنعام ١٣٠)

ـ ﴿ أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ (المائدة ٥٢)

ـ ﴿ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِم ﴾ (الأنعام ٢٤)

ـ ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الأنعام ١٣٠)

ـ ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الأنبياء ٦٤)

ـ ﴿ لَقَد اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم ﴾

(الفرقان ٢١)

ـ ﴿ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾ (الزمر ٥٣)

ـ ﴿ فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٤٠)

ـ ﴿ فإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه ﴾ (النساء ١١١)

ـ ﴿ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَفْسِه ﴾

(التوبة ١٢٠)

ـ ﴿ فَمَن اهْتَدَى فإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ١٠٨)

ـ ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه ﴾

(النمل ٤٠)

ـ ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِه ﴾

(العنكبوت ٦)

ـ ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾

(فاطر ١٨)

ـ ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾

(محمد ٣٨)

ـ ﴿ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾

(الفتح ١٠)

ـ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا ﴾

(النحل ١١١)

ـ ﴿ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا ﴾

(الأعراف ١٨٨)

ـ ﴿ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ (يوسف ٥٤)

ـ ﴿ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ (سبأ ٥٠)

ـ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ الله ﴾ (البقرة ١١٠)

ـ ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَك ﴾ (آل عمران ١٥٤)

ـ ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجا ﴾

(النساء ٦٥)

ـ ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِم ﴾

(الأنعام ١٢٣)

ـ ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم ﴾ (الروم ٨)

ـ ﴿ فَلأَنْفُسِهِم يَمْهَدونَ ﴾ (الروم ٤٤)

ـ ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِم لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ ﴾
(المجادلة ٨)

ـ ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٣٤)

ـ ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم ﴾ (البقرة ٢٢٣)

ـ ﴿ فادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُم الْمَوْت ﴾ (آل عمران ١٦٨)

ـ ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة ﴾
(القيامة ١٤)

ـ ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾
(الأنعام ١٠٤)

ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه ﴾
(فصلت ٤٦)

وترد الضميمة المنعكسة مع اسم الفاعل دون فاصل مجرورة بحرف جر أصلي كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَهوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِه ﴾ (الكهف ٢٥)

ـ ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بالكُفْر ﴾
(التوبة ١٧)

وترد مفصولة بـ (ولو) ، كما في قوله جلّ شأنه :

ـ ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكم ﴾

(النساء ١٣٥)

وظاهر أن الضميمة المنعكسة المجرورة بحرف جر أصلي غير محفوظة الرتبة ، كما هو شأنها إذا كانت غير منعكسة ، فهي ترد بعد الفاعل ، وبعد المفعول ، ومقدمة على المفعول ، ومقدمة على الخبر ، ومقدمة على الفعل والفاعل ، ومحصورة بـ (إلاَّ) وخبراً لمبتدأ محذوف .

وترد الضميمة المنعكسة في موقع الجر بإضافة المصدر إليها كما في قوله جل شأنه :

ـ ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه ﴾ (الحشر ٩)

ـ ﴿ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبدِّلَهُ مِنْ تلقَاءِ نَفْسِي ﴾

(يونس ١٥)

ـ ﴿ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الكهف ٥١)

ـ ﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهم ﴾

(الأنبياء ٤٣)

وترد في موقع المجرور بحرف جر زائد في محل رفع فاعلاً ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾
(الاسراء ١٤)

٣ ـ تعـود الضميمـة المنعكسـة على ضمير بـارز متصل ، أو على ضمير مستتر ، أو على اسم ظاهر كما ظهر في الشواهد السابقة .

٤ ـ تـطابق الضميمـة المنعكسـة مـا تعـود إليـه في الشخص والنوع والعدد .

٥ ـ من الممكن أن يحل محل الضميمـة المنعكسة عنصر لغوي آخر ، وليس في اللغة العربية أفعال لا تستخدم إلا منعكسة ، على نحو ما نجد ذلك مستخدماً في اللغة الألمانية[١] .

٦ ـ يجوز أن تبنى الأفعال للمجهـول مع الضميمـة المنعكسة ، على ألا تكون الضميمة المنعكسة نائب فاعل ، بل يظل لها موقع النصب ، كما في قوله تعالى :

ـ﴿ لَا تُكَلَّفُ إلَّا نَفْسَك ﴾ (النساء ٨٤)

---

(١) Gerbe: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4S. 76.

٧ ـ تستخــدم الأفعـال المنعكســة من حيث دلالـة الصيغة والزمن استخدام الأفعال غير المنعكسة .

٨ ـ يجوز أن ينحصر الضمير المنعكس عليه ، أي : ضمير الفاعل ، بـ (إلا) فينفصل . ولا تصبـح هناك حاجة إلى كلمة « نفس » كما في قولك : ما ضربك الا أنت وقد أجازه النحاة[1] .

٩ ـ يجوز أن ترد الضميمـة المنعكسة معـطوفة على ضميمة غير منعكسة ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ فَقُـلْ تَعَالَـوْا نَدْعُ أَبْنَـاءَنَا وَأَبْنَـاءَكُمْ وِنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُم ﴾ (آل عمران ٦١)

١ـ ترد الضميمة المنعكسة عائدة على المفعول به ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم ﴾

(الأعراف ١٧٢)

إذ المفعـول به هنـا فاعـل في المعنى ،

---

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٢٨٦ .

فالمعنى ـ والله أعلم ـ : جعلهم يشهدون على أنفسهم ، بدليل قولهم في الإجابة عن السؤال الذي وجه إليهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، قال الزمخشري : « أي : على أنفسنا »[1] ومثل ذلك قوله تعالى :

ـ ﴿ فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهم ﴾ (الحشر ١٩)

١١ ـ قد ترد الضميمة المنعكسة مقلوبة ، أي : آخذة موقع ما تعود عليه ، تحقيقاً لغرض بلاغي ، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (طه ٩٦) بدل سولت لنفسي

ـ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُم أَمْراً ﴾ (يوسف ١٨) بدل : سولتم لأنفسكم أمراً

ـ ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُم ﴾ (آل عمران ١٥٤) بدل : أهموا أنفسهم

ـ ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُم ﴾

---

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (القاهرة ١٩٥٣) ٢ /١٣٧ .

(المائدة ٨٠) بدل : قدموا لأنفسهم

١٢ ـ قد تقوم (ال) متصلة بـ (نفس) بوظيفة الضمير المنعكس كما في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ﴾

(النازعات ٤٠)

أي : نفسه[١] .

والآن بعد أن تم لنا الوصف التركيبي للضميمة المنعكسة يجدر بنا أن نعود إلى القاعدة الثانية التي وضعناها فنجري عليها التعديل الأخير ، حتى يمكن أن « تولد » بها كل الجمل الصحيحة التي ذكرناها ، وتكون صالحة لتوليد غيرها من الجمل الصحيحة :

القاعدة الثانية :

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة اسمية أخرى سابقة عليها في جملة واحدة هي ضميمة منعكسة .

---

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (القاهرة ١٩٥٤) ٣٠ / ٤٨ .

ولما كانت هـذه القاعـدة تشمل الآن القـاعدة الأولى ، وتغنى عنها ، فإننـا نختصر القـاعدتين في قاعدة واحدة إجبارية هي :

القاعدة : (إجبارية) :

الضميمة الاسمية التي تـطابق ضميمة اسميـة أخـرى سابقـة عليها في جملة واحـدة هي ضميمـة منعكسة .

ثانياً : الوصف الدلالي :

١ ـ تتحقق العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشـواهد السابقة بين عنصـرين لغويين أحـدهما منعكس والآخـر منعكَسٌ عليه ، والمنعكَسُ عليـه فيمـا أوردناه من أمثلة وشواهد يتسم بسمتين مميزتين distinctive features همـا : [+ حى] ، [+ بشرى] .

٢ ـ وردت العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشـواهد السابقة تامة ، لكن الرضى في شرح الكافية أشار إلى جواز أن تكون علاقة الانعكاس جزئية ، فقد أورد المثال الآتي : رأيتُنَا مع رسول الله صلى الله

تعـالى عليـه وسلم ، أي : رأيتنِي ومن معي ، وأورد أيضـاً قولهم : رأيتُمـاكَ تقـول كـذا[1] ، فالضمير المنعكس هنا يعود على بعض المنعكس عليه .

٣ ـ يجـوز أن تكون العـلاقـة الانعكـاسيـة تبـادليـة reciprocal يصير فيها فعل الانعكاس متبادلاً بين الفاعلين ، وذلك في نحو قوله تعالى :

ـ ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ﴾ (النور ٦١)

ـ ﴿ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكم ﴾ (البقرة ٨٥)

ـ ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكم ﴾ (النساء ٢٩)

ـ ﴿ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِنْ دِيَارِكُم ﴾ (البقرة ٨٤)

ـ ﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (الحجرات ١١)

ـ ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (البقرة ٥٤)

ـ ﴿ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (النساء ٦٦)

ـ ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم ﴾ (الأنعام ٩٣)

---

(١) الرضي : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

وأكثر ما يكون ذلك إذا كان الفاعل جمعاً .

٤ ـ لا تتحقق العلاقة الانعكاسية ـ في غير أفعال القلوب ـ إلّا من خلال حدث يمكن أن ينعكس على الفاعل أو يعود عليه ، فإذا لم يكن الحدث صالحاً للانعكاس لم يصح استخدام الضميمة المنعكسة معه ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

أ ـ أتممت العمل
ب ـ *أتممت نفسي
أ ـ تسلمت الجائزة
ب ـ *تسلمت نفسي
أ ـ ذقت الطعام
ب ـ *ذقت نفسي
أ ـ قطفت الثمار
ب ـ *قطفت نفسي . . . الخ

٥ ـ يتحقق معنى الانعكاس دون ضميمة منعكسة ببعض صيغ الأفعال المزيدة التي تعبر عن معنى أفعال مجردة أو مزيدة مستخدمة مع ضميمة منعكسة ، ومن ذلك صيغة (افتعل) ، كما يتضح ذلك فيما يأتي :

ـ المرأة غسلت ثيابها

* المرأة غسلت المرأة (إذا كانت المرأة في الموضعين شخصاً واحداً)

المرأة غسلت نفسها

المرأة اغتسلت

وقد عرض بروكلمن لبعض ذلك ، فذكر أن صيغة (تفعَّل) صيغة انعكاسية لـ (فَعَّل) مثل : تكبَّر (= كبَّر نفسه) sich gross machen ، ومثل تنبأ (= ادعى النبوة لنفسه) sich als propheten stellen ، وذكر أن صيغة (تفاعل) صيغة انعكاسية لـ (فاعل) مثل : تقاتلوا (= قاتلوا أنفسهم) sich gegenseitig bekämpfen ، وقال : نادراً ما تحمل صيغة (تَفَاعَلَ) معنى الادعاء مثل : تناوم (= ادعى النوم لنفسه) sich schlafend stellen ، كما ذكر أن كلا من صيغة (انفعل) مثل : انهزم ، و(استفعل) صيغة انعكاسية لـ (أفعل) مثل : استوحش sich betrüben ، ثم قال : ومن الشائع أن تدل هذه الصيغة على رغبة شخص في تحقيق شيء لنفسه ، مثل : استغفر(١) .

---

(١) Brockelmann, C. : Arabische Grammatik (Leipzig 1960[14]) S. 38 - 40.

على أن لهذه الصيغ معاني أخر تجدها مبسوطة في كتب الصرف ، وقد أفرد لها أحد الباحثين كتاباً[1] .

وقد تتبعت ما ذكره الرضى في شرح الشافية من معاني هذه الصيغ مما قد يدل على الانعكاس ، فلم أجده أثبت لـ (انفعل) المعنى الذي ذكره بروكلمن لها ، لكنه قال في (تَفَاعَل) : تغافلت : أظهرت من نفسي الغفلة ، وأثبت لـ (تفعَّل) معنى التكلف ، وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة ، مثل : تحلَّم ، وتمرَّأ ، أي : تكلف الحلم والمروءة ، وقال في : (افتعل) : والظاهر أنه لاتخاذك الشيء أصله لنفسك ، فاشتوى اللحم أي : عمل شواء لنفسه ، وامتطاه : جعله لنفسه مطية ، وكذا : اغتذى ، وارتشى ، واعتاد ، وقال في (استفعل) : استعجلت زيداً أي : طلبت عجلته ، فإذا كان بمعنى عجلت ، فكأنه طلب العجلة من نفسه[2] .

---

(١) هاشم طه شلاش : أوزان الفعل ومعانيها (النجف ١٩٨١) .

(٢) الرضي : شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨٢) ١ /٩٢ وما بعدها .

ثم قال بعد أن سرد معاني الصيغ : « واعلم أن المعاني المذكورة للأبواب المتقدمة هي الغالبة فيها ، وما يمكن ضبطه ، وقد يجيء كل واحد منها لمعان أخر كثيرة لا تضبط ، كما تكررت الإشارة إليه »[1] .

٦ - ينبغي ألا تلتبس الضميمة المنعكسة (نفسه) وأخواتها بالضميمة المؤكدة التي تتفق معها لفظاً وتختلف معنى ، فهي في الأولى عنصر إجباري دال على انعكاس الحدث على الفاعل ، ولا يمكن حذفه دون أن تختل الجملة تركيباً ودلالة ، وهي في الثانية عنصر اختياري يؤكد اسماً في الجملة برفع الاحتمال عنه ، وحذفه لا يخل بتركيب الجملة ، ولا بمعناها الأصلي ، إذا استغنينا عن المعنى الإضافي الذي يفيده التوكيد .

وأريد أن ألفت في ختام هذا البحث إلى أن بعض الشعراء المعاصرين أخذوا يستخدمون الضميمة

---

(١) السابق ١ /١١٣ .

المنعكسة استخداماً يخرج بها عن القاعدة ، لا جهلاً منهم بها ، بل اجتراء عليها ، ومن هؤلاء الشاعر محمد أبو دومة ، فقال في بعض قصائده :

ـ لكنى لم أعبأ بى
لم أتريث
واصلت لعلي أغفر لي إثمي(١)

وقال في موضع آخر :

ـ بغيبته أسافر فيه ، أدخله لأعرفني
وأومن بي(٢)

وبعد . فهذا هو الوصف التركيبي والدلالي للضمائر المنعكسة ، وما تتصل به من أفعال تسمى أفعالاً منعكسة أيضاً ، عرضت له من خلال المادة اللغوية الواردة في القرآن الكريم ، وما ورد في كتب النحو العربي التراثي ، وأفدت فيه من مناهج الدرس اللغوي الحديث والمعاصر عند الغربيين ، ومن نحاة بعض اللغات الأخرى في رصدهم لهذه الظاهرة في

---

(١) محمد أبو دومة : أتباعد عنكم فأسافر فيكم (القاهرة ١٩٨٨) ص ٥٤ .

(٢) السابق ص ٨٧ .

لغتهم ، ومن نـظرات بعض المستشـرقين . ولعلى أكون بهذا البحث قد جلوت غامضاً ، أو استدركت فـائتاً ، أو أضفت جديداً .

المصادر والمراجع

أ ـ العربية :

ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢)

ـ **الخصائص** . تحقيق محمد على النجار (القاهرة ١٩٥٢) .

رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦) .

ـ **شرح شافية ابن الحاجب** . تحقيق : محمد.نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨٢[٢])

ـ **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب** (القاهرة ١٣١٠ هـ)

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨ هـ) .

ـ **المفصل في علم العربية** (بيروت د . ت) .

ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ) .

ـ **الأصـول في النحـو** . تحقيـق : د . عبـد الحسين الفتلى (بيروت ١٩٨٧[٢]) .

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) .
ـ الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٨٧) .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ) .
ـ الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٨٤).
ـ محمد أبو دومة : **أتباعد عنكم فأسافر فيكم** (القاهرة ١٩٨٨) .
ـ محمد فؤاد عبد الباقي : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة د . ت) .
هاشم طه شلاش :
ـ **أوزان الفعل ومعانيها** (النجف ١٩٧١) .
ابن يعيش ، موفق الدين يعيش على بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) .
ـ **شرح المفصل** (المنيرية ، القاهرة د . ت) .

ب ـ الأجنبية :

Brockelmann, C: Arabische Grammatik (Leipzig 1960)[14]

Grebe, P: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4 (Mannheim 1973).

Helbig, G& Buscha, J: Deutsche Grammatik. Ein Handbuch Für den Ausländerunterricht. (Leipzig 1980).

Perlmutter, D& Soame, S: Syntactic Argumentation and the Structure of English. (U. S. A 1979).

Thomson, A. J. & Martinet A. V.: A Practical English Grammar (Oxford 1980[3]).

Wright, W: A Grammar of the Arabic Language. (Beirut 1974[3]).

Zandvoort, R. W: A Handbook of English Grammar. (London 1975[7]).